

مختصر

يتناول علم البلاغة في مصطلح بعض الأدباء ثلاثة فنون : الأول ما يُحْتَرَز به عن الخطأ في تأدية المراد ، وهو علم المعاني ؛ والثاني ما يُحْتَرَز به عن التعقيد المعنوي ، وهو علم البيان ؛ والثالث ما يراد به تحسين الكلام ، وهو علم البديع . وبعضهم يُطَلِّق علم البيان على هذه الفنون الثلاثة ، ويخصّ الاثنين الأوّلين بعلم البلاغة .

ولا يُعرَف بالضبط أوّل من ألّف في علم المعاني ، وإنّما يُؤثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ^١ وابن قتيبة^٢

ولم يسبق أحد أبا عبيدة^٣ بن المثنى في تدوين كتاب فيه شيء من

١ - الجاحظ ، هو أبو عثمان عمر بن بحر الكنتاني البصري الملقب بالجاحظ ، الجحوظ عينيه ولد بالبصرة ونشأ بها . وأكب على تحصيل فنون الادب ، فبرع في كل علم وفن ، له تصانيف عديدة منها : كتاب « البيان والنبين » ، وكتاب « الحيوان » ، وكتاب « البخلاء » . توفي سنة ٨٦٨ م . ٥٥٢٥٥

٢ - ابن قتيبة ، هو أبو محمد عبد الله الدينوري ، ولد ببغداد ، كان فاضلا ، متفنا في العلوم سكن ببغداد ، وحدث بها ، وأقرأ ، ثم انتقل الى ديبور ، وأقام بها فنسب إليها . له كتاب « أدب الكاتب » ، وكتاب « المعارف » ، وكتاب « الجرائم » ، توفي فجأة سنة ٨٨٢ م ، ٢٧٠ هـ .

٣ - أبو عبيدة ، هو معمر بن المثنى . كان أبوه يهوديا من أهل ناجروان ببلاد فارس ، ولم يزل ابنه مبعضا للعرب أشد البغض ، وهو مدخول في دينه ، فخرج المذهب حيث اللسان ، كان رث الهيئة ، قدر اللباس ، سي المنظر والخبر ، إلا أنه في مقام سام من حيث العلم والآدب . له كتاب « مجاز القرآن » في البيلن . ولما كان حيث اللسان دس له بعض أعدائه سم يورز وأطعمه إياه فمات سنة ٨٢٤ م ، ٢٠٩ هـ .

علم البيان ؛ ولكننا نعلم بالتدقيق أنَّ أوَّل من دوَّن في البديع هو الخليفة
عبد الله بن المعتز^١ ؛ ثمَّ صنَّف في هذا الفنَّ معاصره قدامة الكاتب
البغدادي^٢ كتاباً أسماه « تقد قدامة » .

وما زالت هذه العلوم تسير في طريق التحوُّ حتى جمع قواعدها المبعثرة
الإمام عبد القاهر الجرجاني^٣ . ثمَّ تلا من تقدَّم أبو يعقوب السكاكي^٤
فجمع في القسم الثالث من « المفتاح » زبدة ما كتبه الأئمة قبله في هذه
الفنون ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبسطها أكمل بسط . فلم يترك لمن جاء
بعده زيادة لمستزيد .

١ - ابن المعتز ، هو أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله ، كان شاعراً مطبوعاً ، نبيه
المعاني عذب الالفاظ ، حسن الابداع ، شعره غابة في الظرف ، وطلاوة الحديد . له كتاب البديع
جمع فيه من هذا الفن سبعة عشر شكلاً . بويج بالخلافة ، وتلقب بالمرتضى ، فتغلب عليه أصحاب المقتدر .
فاعتقل وخنق ، ولم تدم خلافته إلا يوماً واحداً . توفي سنة ٩٠٨ م ، ٢٩٦ هـ .

٢ - هو قدامة بن جعفر الكاتب أديب شاعر تولى منصباً كبيراً في الدولة العباسية ، وكان
معاصراً لابن المعتز ، وألف في البديع كتابه المذكور ، وزاد على ما وجدته ابن المعتز ثلاثة عشر
شكلاً . توفي ببغداد سنة ٩٢٢ م ، ٣١٠ هـ .

٣ - هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، اشتهر بالتدين والزهد في حطام الدنيا
والتمسك في إقامة شمائر الدين . قيل انه كان يوماً في الصلاة ، فدخل عليه لص ، وأخذ ما وجد
عنده من المتاع ، ولم يقطع صلته . وضع علم البيان في كتابين : دلالة الاعجاز ، في المعاني
، وأسرار البلاغة ، في البيان . له الفضل في القضاء على زخرف الكلام والاسجاع النافهة التي
كانت شائعة في زمانه . توفي سنة ٩٧٦ م ، ٢٦٦ هـ .

٤ - السكاكي : هو سراج الدين ابو يعقوب السكاكي ، ولد في خوارزم ، وتوفي فيها . له كتابه
الشهير « مفتاح العلوم » ، في الصرف ، والاشتقاق ، والنحو والمعاني والبيان ، والعروض ، توفي
سنة ١٢٢٨ م ، ٦٢٦ هـ .

واكتفى من جاء بعد هؤلاء باختصار ما ألفه السكّاكي أو بشرحه أو تحشيته ، وأوفى كتاب بلغنا هو تلخيص المفتاح للقرظوني^١ .

وجاء المعاصرون ، فطبعوا على غرار من تقدم : من تلخيص وشرح مع ميل يسير إلى مقتضيات النهضة الحاضرة ، وطرق التربية والتعليم الحديثة . وقد حاول بعض أدباء العصر توسيع دائرة فنون البلاغة المرسومة سابقاً ، أخذاً عن قدماء الكتاب ، ولقبوا ~~بأساليب البلاغة~~ ، فأضافوا إليها عدة أبحاث في صفات المعاني ، وأساليبها ، ومحاسن الإنشاء ومعاييه ، وطبقاته وفنونه كما فعل الأب لويس شيخو اليسوعي^٢ ، في كتابه « علم الأدب » وغيره من العلماء ؛ بيد أن طائفة من الأدباء لم يرقهم هذا التجديد ، فبقوا محافظين على القديم . ولعل الاحتكاك بالغرب ، وتناول كثير من عاداته وأساليبه الإنشائية تحدى بالمتأدين إلى السير بهذه الفنون خطوة إلى الأمام . فإن الأمور مرهونة بأوقاتها ، وكلُّ آتٍ قريبٌ

١ - القرظوني ، هو جمال الدين محمد بن عبد الرحمن ، ولد في الاناضول ، وتعلم الفقه ، ونولى القضاء ، وانتقل الى دمشق ، ونولى الخطابة في مسجدها ، ثم القضاء بصرى ، وتمكن نفوذه في أيام الملك الناصر . عاد الى دمشق ونوفى فيها سنة ١٣٢٨ م ، ٧٢٩ هـ .

٢ - الأب لويس شيخو : هو رزق الله شيخو . ولد في ماردين سنة ١٨٥٩ . من أبوين قاضين من طائفة السربان الكلدان . ودخل مدرسة عزيز ، وهو غصن رطيب ، في الثامنة من سنه ، ولم يلبث أن نمي فأنتج ، وأزهر فأثمر . إنخرط في سلك الرهبنة اليسوعية ، وتعلم العلوم والآداب اليونانية واللاتينية والفرنسية في فرنسا ، وهدى الى الشرق في غرة النهضة الحديثة . فعمل العلوم العربية ، والكتب عزيزة نادرة ، ورأى ما يعموز التدريس من الكتب في هذه اللغة . فشرع عن ساعد الجد . وجاب البلاد شرقاً وغرباً ، متقبلاً عن المخطوطات والكتب القيمة ، ثم صرف همه مدة خمسين سنة ، الى تأليف الكتب الجملة ، وتحرير مجلة المشرق مدة ربع قرن .

وكان الأب شيخو كاهناً ودرعاً ، ولاهوتياً مدققاً ، وفيلسوفاً بارعاً ، ومجادلاً أديباً ، ومؤرخاً صادقاً . توفي سنة ١٩٢٧ .